

مَعَالِجُ الْقَبُولِ

بشرح سَلَامِ الْوُصُولِ ، إِلَى عِلْمِ الْأَصُولِ

فِي التَّوْحِيدِ

تأليف

الشيخ العلامة

حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَكَمِيِّ

(١٣٤٤ - ١٣٧٧ هـ)

قدّم له ، وَتَرَمَّ الْمَوْفِقُ

وَلَفَّحَ عَلَى طَبْعِهِ

أحمد بن حافظ الحكمي

المجلد الأول

الطبعة الثالثة

(١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م)

الطبعة الأولى

١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م بالمطبعة السلفية بمصر

الطبعة الثانية

من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

بالمملكة العربية السعودية

(مصورة عن الطبعة الأولى)

حقوق الطبع والتصوير والنشر محفوظة
لأبناء المؤلف

طبع في دار

للمطبعة السلفية - مكتبتها

٢١ شارع الفتح - روضة الفسطاط - القاهرة ٥ - ت ٨٤٠٣٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

● إلى الذين يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،
واليوم الآخر، وبالقدر خيره وسره .

● إلى الذين يقولون ربنا الله ثم يتفيمون، ويخلصون
في أقوالهم وأفعالهم، ويعتصمون بحبل الله المتين .

● إلى الذين يجاهدون في الله حق الجهاد، ويسعون في
الأرض إصلاً وهدواً، لا إفساداً وهدماً .

أهدي هذا الكتاب القيم، وهذا التّقرير الموجهز
بمؤلفه وآثاره العليمة

أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَيْنَ يَدَيِ الْكِتَابِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله المرسلين نبينا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحابه أجمعين .

(١)

« إن كتاب (معارج القبول) لو أنى اطلعت عليه وليس عليه اسمكم لظننت أنه من مؤلفات الإمام شمس الدين بن القيم أو من هو في طبقة من الأعلام ؛ لأنه ما تعرض لموضوع إلا استوفى فيه نصوصه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما لا يدع زيادة لمستزيد . والأرجوزة (المتن) مع أن موضوعها علمي فإنها في منتهى السلاسة والسهولة والوضوح ؛ فكل كلمة منها محكمة في موضوعها بغير حشو مما يكثر في الأراجيز العلمية الأخرى . فجزاكم الله عن طريقة السلف خير ما يجزى العلماء الذين ساروا على الواضحة التي كان عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين » .

هذه كلمة عن الكتاب دونها المفكر الإسلامي الأستاذ محب الدين الخطيب - رحمه الله - في رسالة كتبها إلى الوالد المؤلف - رحمه الله - في ٧ شوال سنة ١٣٧٧ هـ (١) ، وهي تدل حقاً على ما يتمتع به كتاب (معارج القبول) - هذا الذي أقدم له - من قيمة علمية لم تتوفر لكثير من الكتب المعاصرة المؤلفة في أصول الدين ، وما ذلك إلا لغزارة مادته وسهولة أسلوبه ووضوح أفكاره وأصالة مصادره وسلامة منهجه ، وسلوكه فيه طريقة السلف الصالح - رضوان الله عليهم - في بيان العقيدة الصحيحة ، معتمداً على الأدلة الواضحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال صحابه ومن تبعهم بإحسان ، مجتنباً فلسفة المتكلمين وجلهم .

(١) احتفظ بهذه الرسالة في مكتبي الخاصة .

ويتلخص موضوع الكتاب - كما يقرر مؤلفه - في أنه يبحث مسائل (الأصول) والمراد بها هنا أصول الدين ؛ من الإيمان بالله عز وجل وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وأركان الإسلام : الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها ، والكلام على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بها ، والكلام في مسألة الخلافة والاعتصام بالكتاب والسنة وما تحتوى عليه كل مسألة من ذلك « (١) .

(٢)

ويبدو منذ الصفحات الأولى من الكتاب أن إيمان المؤلف - رحمه الله تعالى - بالله الذي لا إله إلا هو ، ولا خالق غيره ، ولا رب سواه ، المستحق لجميع أنواع العبادة - ولذا قضى سبحانه أن لا نعبد إلا إياه - . وحرصه على أن يكون توحيد الخلق جميعاً خالصاً لخالقهم ورازقهم وحده ، وهدم إشراك غيره معه في العبادة وسواها من صنوف الطاعات المقررة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وخشيته على المسلمين من التأثير بكثير من البدع والخرافات المضلة والتيارات المعاصرة المنافية لدين الإسلام المخالفة لشرع الله القويم ؛ وراء تلك العاطفة الإسلامية الجياشة التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب محاولاً فيه تقريب مسائل العقيدة الإسلامية الصحيحة إلى أفهام طلاب العلم على اختلاف منازلهم وتباين طرق استيعابهم لمباحث التوحيد وقضاياها المتعددة . تبدو هذه العاطفة - على سبيل المثال - شديدة الوضوح عميقة المغزى في قوله وهو يقدم له مخاطباً إخوانه المسلمين :

« أما بعد ؛ فاعلموا - رحمكم الله - أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به ، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار ، وبه حقَّت الحاقة ووقعت الواقعة ، وفي شأنه تنصب الموازين وتتطابر الصحف ، وفيه تكون الشقاوة والسعادة ، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » . وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بإلهيته

وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك ، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل باتباع كتابه ورسوله والعمل على وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة ويميل بالبعد عنها فيجانبا كل المجانبة ويعوذ بالله منها ، (١)

(٣)

أما بدايات ذلك فتعود إلى مرحلة طلبه العلم على يد أستاذه الجليل الشيخ الهداية عبد الله بن محمد القرعاوي (١٣١٥ - ١٣٨٩ هـ) (٢) - رحمه الله تعالى - حين أدرك الشيخ فيه القدرة على التأليف والنظم - وهو لم يبلغ العشرين من عمره بعد - فطلب منه أن ينشئ منظومة في توحيد الله تشتمل على عقيدة السلف الصالح سهلة الحفظ على الطلاب ، تكون بمثابة اختبار له وتدل على مقدار ما استفاده من قراءاته الواسعة والتحصيل العلمي الجاد الذي أخذ به نفسه (٣) . وقد امثل التلميذ لغبة شيخه فصنف منظومة (سلم الوصول إلى علم الأصول ، في توحيد الله واتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم -) التي انتهى من تسويدتها في سنة ١٣٦٢ هـ ، وما كاد طلاب العلم من زملائه وغيرهم يقفون عليها حتى عكفوا على قراءتها وحفظها . وكما نالت المنظومة إعجاب شيخه لاقت استحسان العلماء المعاصرين له وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣١١ - ١٣٨٩ هـ) مفتي الديار السعودية آنذاك - رحمه الله - الذي أشار بطبعها وتوزيعها مع عدد آخر من رسائل صاحبها ومنظوماته العلمية حتى يستفيد منها طلاب العلم كافة ، فكان ذلك (٤) .

وهي منظومة سهلة الأسلوب واضحة العبارة ، لا غموض فيها ولا تعقيد ، خالية تماماً من الحشو والاستطرادات الخارجة عن موضوعها ، أنشأها على وزن (بحر الرجز) ، واستهلها بقوله - الذي تُرى من خلاله تلك السهولة ويلمس ذلك الوضوح - :

(١) معارج القبول - هذه الطبعة - : ١ / ٩ - ١٠ - والطبعة الأولى - : ١ / ١٣ - ١٤ .

(٢) سيق الحديث عنه عند التعريف بمؤلف الكتاب .

(٣) استفدت ذلك من رسالة صغيرة كتبها الشيخ عبد الله القرعاوي وذكر فيها شيئاً عن حياته ، أحفظ

بها لدى .

(٤) انظر الغلاف الخارجي للمجموع المحتوي على خمس رسائل للشيخ حافظ الحكيم في طبعة الأولى

بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة .

أبدأ باسم الله مستعيناً
والحمد لله كما هدانا
أحمده سبحانه وأشكره
وأستعينه على نيل الرضا
وبعد : إني باليقين أشهد
بالحق مآلوه سوى الرحمن
وأن خير خلقه محمداً
رسوله إلى جميع الخلق
صلى عليه ربنا ومجداً
وبعد : هذا النظم في الأصول
سألتني إياه من لا بد لي
فقلت مع عجزى ومع إشفاقى
اعلم بأن الله جلّ وعلا
بل خلق الخلق ليعبدوه

راضٍ به مدبراً مهيئاً
إلى سبيل الحق واجتباناً
ومن مساوى عملى أستغفره
وأستمدُّ لطفه فيما قضى
شهادة الإخلاص أن لا يُعبد
من جلّ عن عيب وعن نقصان
من جاءنا بالبينات والهدى
بالنور والهدى ودين الحق
والآل والصحب دواماً سرمداً
لمن أراد منهج الرسول
من امتثال أمره الممثل
معتمداً على القدير الباقي :
لم يترك الخلق سدى وهماً
وبالإلهية يفردوه (١)

(٤)

ثم كان وضع الشرح لها تلبية لرغبة شيخه وزملائه وتلاميذه الذين أدركوا أهمية هذه المنظومة وقيمتها العلمية ، ورأوا أن في تفصيل مجملها وحل مشكلها وإيراد نصوص الأدلة من الكتاب والسنة كاملة في مباحثها المختلفة ما يزيد من قيمتها ويوسع دائرة الاستفادة منها . ولتستمع إلى المؤلف - رحمه الله - يشرح لنا قصة ذلك في تقديمه لهذا الشرح ، حيث يقول :

« وقد سألتني من لا تسعني مخالفته من المحبين أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين ، ويقرب مناله للراغبين ، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح وبين ؛ فأجبتة إلى ذلك مستعيناً بالله ، راجياً الثواب من الله ، قائلًا لا حول ولا قوة إلا بالله : وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور ، ومناقضتهم للتوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور ،

وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والندور ،
فيسر الله تعالى ذلك بمنه وفضله ، وأعانني وله الحمد والمنة على إكماله ، وسميته
(سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول) ؛ فلما انتشر بأيدي الطلاب : وعظمت
فيه رغبة الأحاب ، سئل مني أن أعلق عليه تعليقا لطيفاً ، يحل مشكله ويفصل مجمله ،
مقتصرأ على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله ، فاستخرت الله
تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته ، فعنّي أن أعزم على ذلك الأمر المستول ، مستمداً
من الله تعالى الإعانة على نيل السؤل ، وسميته (معارج القبول ، بشرح سلم الوصول ،
إلى علم الأصول) . « (١) .

وقد انتهى من تسويد الشرح في سنة ١٣٦٦ هـ ، أي بعد نحو أربع سنوات من
وضعه للمنظومة .

(٥)

سار المؤلف - رحمه الله تعالى - في ترتيب مباحث كتاب (معارج القبول)
على فصول وفق ترتيبها في أرجوزة (سلم الوصول) ، ولتضح الصورة كاملة لهذه
المباحث بعناوينها وما تعالجه من موضوعات ، نوردتها مفصلة على النحو التالي :

- مقدمة في تعريف العبد بما خلق له ، وبأول ما فرض الله تعالى عليه ، وبما
أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم ، وبما هو صائر إليه .

- فصل في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين ، وبيان النوع الأول وهو توحيد
المعرفة والإثبات .

- فصل في بيان النوع الثاني من التوحيد ، وهو توحيد الطلب والقصد ، وأنه
معنى لا إله إلا الله .

- فصل في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها ، وأن من صرف منها شيئاً
لغير الله فقد أشرك .

- فصل في بيان ضد التوحيد وهو الشرك ، وأنه ينقسم إلى قسمين : أصغر
وأكبر ، وبيان كل منهما .

- فصل فى بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك ، ومنها ما هو قريب منه .
وبيان حكم الرقى والتائم .

- فصل من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها
يتخذ ذلك المكان عيداً . وبيان أن الزيارة تنقسم إلى : سنية وبدعية وشركية .

- فصل فى بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور من الشرك الصريح
والغلو المفرط فى الأموات .

- فصل فى بيان السحر وحد الساحر ، وأن منه علم التنجيم . وذكر عقوبة من
صدق كاهناً .

- فصل يجمع معنى حديث جبريل المشهور فى تعليمنا الدين ، وأنه يتقسم إلى
ثلاث مراتب هى : الإسلام والإيمان والإحسان ، وبيان أركان كل منها .

- فصل فى كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وتفاضل أهله فيه ،
وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحلّه ، وأنه تحت المشيئة ،
وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر .

- فصل فى معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة ، وإكمال الله
لنا به الدين ، وأنه خاتم النبيين ، وأفضل الخلق أجمعين . وأن من ادعى النبوة بعده
فهو كاذب يكفر من صدقه واتبعه .

- فصل فى من هو أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر
الصحابة - رضى الله عنهم - بمحاسنهم ، والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم .

- خاتمة فى وجوب التمسك بالكتاب والسنة ، والرجوع عند الاختلاف إليهما ،
فما خالفهما فهو رد .

(٦)

طبعت أرجوزة (سلم الوصول) طبعها الأولى بمطابع البلاد السمودية بمكة
المكة على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - سنة ١٣٧٣ هـ فى ١٦ ص ،
ثم طبعت بعد ذلك طبعات أخرى .

وطبع كتاب (معارج القبول) طبعته الأولى بالمطبعة السلفية بالقاهرة نحو سنة ١٣٧٧ هـ في مجلدين ضخمين بلغت صفحاتهما ١١٨٣ ص = (ج ١ / ٥٤٤ ص ، ج ٢ / ٦٣٩ ص) ، ثم أصدرته مصوراً عن هذه الطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية مقدمة له بالقول : « وبعد : فيسر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد أن تقدم لطلبة العلم في كل مكان هذه الطبعة الجديدة من كتاب (معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد) تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - رحمه الله - . وهو كتاب قيم جامع نافع جعله مؤلفه شرحاً لمتن له سابق ، يبين فيه العقيدة الصحيحة في أصول الدين ، متبّعاً في ذلك طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم ... ، فغدا مرجعاً في بابه يوضح لقارئه سبيل الهداية والصواب ويحذره دروب الغواية والضلال . جزى الله مؤلفه خير الجزاء وكتب له أجره ومثل أجر من انتفع به إلى يوم القيامة ، إنه سميع قريب » .

وقد تجرأت - في الآونة الأخيرة - بعض المطابع ودور النشر العربية في مصر وغيرها على طبع هذا الكتاب وتصويره ونشره عدة مرات بطرق غير مشروعة أساءت إليه إساءة بالغة ، حيث ظهر في صور مشوهة مليئة بالتحريفات والأخطاء المطبعية ؛ وهو أسلوب - غير لائق - في سلب الحقوق والمتاجرة بها لا أرضى عنه ولا أؤيده ولا أقبل به أياً كانت الأسباب والمبررات .

(٧)

ويأتى اليوم الذى وفقنى الله فيه بمنه وفضله - له الحمد والشكر - لإخراج كتاب والدى القيم هذا في طبعة جديدة ، حاولت قدر استطاعتي أن تكون جميلة في مظهرها بديعة في تنسيقها سليمة في بنائها ، ولتيم ذلك على الوجه الذى هدفت إليه من إخراجه في هذه الطبعة - التى نقرؤها بين أيدينا الآن - قمت بما يلي :

١ - راجعت الطبعة الأولى من الكتاب مراجعة دقيقة ، وصوّبت ما وقع فيها من التصحيف والأخطاء المطبعية ، وجعلت منها أصلاً اعتمدت عليه في هذه الطبعة .

٢ - تتبع الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الكتاب وراجعتها على أصولها

في المصحف الشريف ، مصححاً ما وقع في بعضها من أخطاء مطبعية أو نحوها ، ضابطاً بالحرركات ما احتاج إلى الضبط من مفرداتها ، وقد ميزت الآيات بوضعها بين قوسين كبيرين هكذا () . كما ميزت الأحاديث النبوية الشريفة بوضعها بين علامتي تنصيص هكذا « » .

٣ - عمدت إلى عناوين الفصول الرئيسية في الكتاب فدونها بخط كبير واضح بطريقة (الأكلشييات) ، وجعلت بداية كل فصل منها في صفحة جديدة ، بخلاف الطبعة الأولى منه التي تشابهت فيها عناوين الفصول وعناوين الموضوعات المتدرجة تحتها حين كتبت بحرف واحد .

٤ - أثبت أبيات المنظومة المشروحة كل بيت أو أبيات مترابطة في أثناء الكتاب قبل الشروع في شرحه أو شرحها على نحو ما في الطبعة الأولى ، ولكنها هنا كتبت بحرف أسود ووضعت بين قوسين هكذا () تمييزاً لها عما يأتي في أثناء الكتاب من شعر غيرها ، ثم نثرت كلمات الأبيات في ثنايا الشرح بالحرف نفسه بين أقواس مماثلة لتمييزها عن الشرح .

٥ - وإتماماً للفائدة المرجوة رأيت من المستحسن لإيراد نص منظومة (سلم الوصول) كاملة مشكولة في مستهل الكتاب ، ليقف القارئ على هذه المنظومة متصلة الأبيات غير مجزأة أولاً ، ثم ينطلق إلى قراءة شرحها . وكان عليّ وأنا أملك أصلها المكتوب بخط ناظمها - رحمه الله عليه - أن أقارن بينه وبين نصها الوارد مقسماً في شرحها (المعارج) ، وأن أنبه إلى الاختلاف اللفظي اليسير بين النصين ، جاعلاً من رواية (المعارج) أصلاً مراعاة للشرح المترتب عليها ، مع العناية بالإشارة في الهامش إلى ما يقابلها في النسخة المخطوطة عند وجود الاختلاف ، وهو في الحقيقة اختلاف يسير لا يتجاوز كلمات قليلة استحسن الناظم - رحمه الله - تعديلها وليس لها أدنى تغيير في المعنى .

٦ - وقد رأيت لزماً عليّ وأنا أقدم لهذا الكتاب أن أعرف تعريفاً وجزاً بمؤلفه - رحمه الله تعالى - ألقى فيه شيئاً من الأضواء على حياته العلمية والعملية ، وأشير إلى مؤلفاته في الفنون الإسلامية المختلفة .

بكل هذه العناية وتلك المتابعة مراجعة وتصحيحاً وتنسيقاً وإضافة تمتاز هذه

الطبعة - عن الطبعة الأولى والطبعات الأخرى المصورة عنها - التي أرجو أن أكون قد وفقت إلى إبراز الكتاب من خلالها في مظهر يليق به وبقيمته العلمية .

(٨)

وبعد ؛ فيها هو ذا العمل الإسلامي الجاد المتمثل في كتاب (معارج القبول ... في توحيد الله واتباع الرسول) لوالدي الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - رحمه الله وأجزل له المثوبة - أقدمه اليوم لقراء العربية في طبعة جديدة حاولت جاداً مخلصاً أن تأتي جيدة المستوى إعداداً وإخراجاً ، لينتفع به طلاب العلم في كل مكان كما انتفع بطبعته الأولى التي نفذت في وقت مبكر لشدة الإقبال عليه والرغبة الملحة في الاستفادة منه .

وإذا كانت هناك جهود تذكر لأصحابها فتشكر ؛ فإني أذكر للأستاذ الفاضل قصي محب الدين الخطيب - صاحب المطبعة السلفية ومكنتها - حسن تعاونه معي في سبيل إخراج هذه الطبعة مصححة منقحة قدر الإمكان فأشكره عليه ، كما أذكر لوالده الجليل فضل إخراج الطبعة الأولى ومراجعتها فأدعوه بالرحمة والمغفرة وأن يجزيه الله خير الجزاء .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يرحم مؤلفه ويغفر له ويسكنه فسيح جناته ، ويجزيه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ؛ بما كتب من مؤلفات إسلامية قيمة ، وبما ألقى في حياته من دروس دينية نافعة ، هدفة في ذلك كله الإصلاح ما استطاع إليه سبيلاً .

وما أحسن أن نقول : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . (ربنا لا تزعج قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) ليكون لهذا التقديم ختاماً . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د . أحمد بن حافظ الحكيم

القاهرة
١٤٠٤/١/٢٠
١٩٨٣/١٠/٢٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة

حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

بقلم ابنه

الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين ، وهو علم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري) .

والحكمي : نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من (مذحج) من (كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة نخلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضاي) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة (جازان) حاضرة المنطقة ، على الساحل ، قرية منها - حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب .

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (سامطة) في نفس المنطقة ، وهو ما يزال صغيراً ؛ لأن أكثر مصالحي والده - من أراض زراعية ومواش ونحوها - كانت هناك ، وإن بقيت أسرته الصغيرة تنقل بين قريتي (السلام) و (الجاضع) لظروفها المعيشية ؛

ونشأ حافظ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة ، تربى فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق ، وكان قبل بلوغه يقوم برعى غنم والديه التي كانت أهم ثروة لديهم آنذاك جرياً على عادة المجتمع في ذلك الوقت ، إلا أن حافظاً لم يكن كغيره من فتيان مجتمعه ، فقد كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم ، فلقد ختم القرآن وحفظ الكثير منه وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد ، وكذلك تعلم الخط وأحسن الكتابة منذ الصغر .

طلبه العلم :

عندما بلغ حافظ من العمر سبع سنوات أدخله والده مع شقيقه الأكبر محمد (١) مدرسة لتعليم القرآن الكريم بقرية (الجاضع) فقرأ على مدرّسه بها جزأى (عم ، وتبارك) ، ثم واصل قراءته مع أخيه حتى أتم قراءة القرآن قراءة مجوّدة خلال أشهر معدودة ، ثم أكمل حفظه حفظاً تاماً بعيد ذلك .

اشتغل بعدئذ بتحسين الخط فأولاه أكبر جهوده حتى أتقنه ، وكان ينسخ من مصحف مكتوب بخط ممتاز ، إلى جانب اشتغاله مع أخيه بقراءة بعض كتب الفقه والفرائض والحديث والتفسير والتوحيد مطالعة وحفظاً بمنزل والده إذ لم يكن بالقرية عالم يوثق بعلمه فيُتلمذ على يديه .

وفي مطلع سنة ١٣٥٨ هـ قدم من (نجد) الشيخ الداعية المصلح عبد الله بن محمد ابن حمد القرعاوى (٢) إلى منطقة (تهامة) في جنوب المملكة ، بعد أن سمع عما

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوى الفضل فيها ، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة ، تولى إدارة معهد سامطة العلمى أكثر من عشرين عاماً بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذى كان أول مدير لهذا المعهد . أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائماً .

(٢) ولد الشيخ عبد الله القرعاوى - وهو جدى لأى - في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥ هـ وتوفي بمدينة الرياض سنة ١٣٨٩ هـ - رحمه الله تعالى - ، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تهامة وعسير) وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية - انظر بحثاً عنه وعن دعوته وآثارها كتبته في : مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض : (مجلد ٨ / ج ٨٦٧ ، ص ٥٢٣ - ٥٣٠) .

كان فيها من الجهل والبدع - شأن كل منطقة يقل فيها الدعاة والمصلحون أو يتعلمون - ونذر نفسه مخلصاً على أن يقوم بالدعوة إلى الدين القويم ، وتصحيح العقيدة الإسلامية في النفوس ، وإلى إصلاح المجتمع وإزاحة ما كان عالقاً في أذهان الجهال من اعتقادات فاسدة وخرافات مضلة .

وفي سنة ١٣٥٩ هـ قدم شقيق حافظ عمي (محمد بن أحمد) برسالة منه ومن أخيه حافظ يطلبان فيها من الشيخ القرعاوي كتباً في التوحيد ، ويعتذران عن عدم القدرة على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعناية بشؤونهما ، كما يطلبان منه - إن كان في استطاعته - أن يتوجه إليهما بقرئتهما ليستمعا منه بعض ما يلقي من دروس ، وفعلاً لبي الشيخ طلبهما وذهب إلى قرئتهما ، وهناك التقي بحافظ وعرفه عن كتب ، وتوسم فيه النجابة والذكاء ، وقد صدقت فيه فراسته .

ومكث الشيخ عدة أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعض دروسه العلمية التي حضرها مجموعة من شبوخ القرية وشبابها ومن بينهم حافظ الذي كان أصغرهم سناً ، لكنه كان أسرعهم فهماً وأكثرهم حفظاً واستيعاباً لما يلقي الشيخ من معلومات ، يقول عنه الشيخ عبد الله القرعاوي : « وهكذا جلست عدة أيام في الجاضع ، وحافظ يأخذ الدروس وإن فاتته شيء نقله من زملائه ، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطه ، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة ، لأنني كنت أملي عليهم إملاء ثم أشرحه لهم » (١) .

وعندما أراد الشيخ العودة إلى مدينة (سامطة) التي جعلها مقراً له ومركزاً لدعوته ، طلب من والدي حافظ أن يرسلوه معه ليطلب العلم على يديه في (سامطة) على أن يجعل لهما من يرعى غنمهما بدلا عنه ، ولكنهما رفضا طلب الشيخ أول الأمر وأصرّا على أن يبقيا ابنيهما الصغير في خدمتهما لحاجتهما للكبرة إليه .

ونشاء إرادة الله أن لا تطول حياة والدته بعد ذلك إذ توفيت في شهر رجب سنة ١٣٦٠ هـ فيسمح والده له ولأخيه محمد بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه ؛ فكان حافظ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة)

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئاً موجزاً من حياته ، احتفظ بها لدى .

فيحمل عليه النروس ، ثم يعود إلى قريته ، وكان ملهماً يفهم ويعي كل ما يقرأ أو يسمع من معلومات :

ولم يعمر والده بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربه وهو عائد من حج سنة ١٣٦٠ هـ - رحمه الله - فتفرغ حافظ للدراسة والتحصيل ، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمة دائمة يقرأ عليه ويستفيد منه .

وكان حافظ في كل دراساته على شيخه مبرزاً وناطقة ، فأثر في العلم بسرعة فائقة ، وأجاد قول الشعر والنثر معاً ، وألف المؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون الإسلامية - ستقف على أسمائها - ، ولقد كان كما قال عنه شيخه : « لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والإدارة في وقت قصير » (١) .

علمه :

مكث حافظ يطلب العلم على يد شيخه الجليل عبد الله القرعاوي ، ويعمل على تحصيله ، ويقتني الكتب القيمة والنادرة من أمهات المصادر الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها ويستوعبها قراءة وفهماً .

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره - ومع صغر سنه - طلب منه شيخه أن يؤلف كتاباً في توحيد الله ، يشتمل على عقيدة السلف الصالح ، ويكون نظاماً ليسهل حفظه على الطلاب ، يعد بمثابة اختبار له يدل على القدر الذي استفاده من قراءاته وتحصيله العلمي ؛ فصنف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) التي انتهى من تسويدتها في سنة ١٣٦٢ هـ وقد أجاد فيها ، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له .

ثم تابع تصنيف الكتب بعد ذلك ؛ فألف في التوحيد ، وفي مصطلح الحديث ، وفي الفقه وأصوله ، وفي الفرائض ، وفي السيرة النبوية ، وفي الوصايا والآداب العلمية ، وغير ذلك نظاماً ونثراً ، وقد طبعت جميعها طبعها الأولى على نفقة المغفور له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز .

ويتضح لنا من آثاره العلمية أن أبرز مقروءاته ذات الأثر في منهجه العلمي

ومؤلفاته هي تلك الكتب التي ألفها علماء السلف الصالح من أهل السنة في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصوله ، أما في مجال العقيدة فقد بدا شديد التأثير بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كثير الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذ عنها ، هذا إلى جانب استيعابه لكثير من مصادر التاريخ والأدب واللغة والنحو والبيان المؤلفة في مختلف العصور الإسلامية :

ولقد كان - رحمه الله - عميق الفهم سريع الحفظ لما يقرأ ، وقد مر بنا قول لشيخه بشيد فيه بتلميذه حافظ ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطه - على حد تعبير الشيخ - وكان زملاؤه الكبار يراجعونه في كل ما يشكل عليهم منذ مراحل تعليمه الأولى :

أدبه :

يُعدُّ الشيخ حافظ من أجل علماء منطقة نهامة وأقدرهم على قول الشعر ، فقد كان يعشق الشعر منذ صغره ويحفظه ويقولُه سليقة دون تكلف ، فلا غرابة إذا رأيناه يُخرج أكثر مؤلفاته نظماً .

ولقد كان أكثر ما يقول الشعر - في غير ما كتبه من منظومات علمية - إما نصيحة أو مساجلة لصديق أو وصفاً أو خاطرة ، إلا أنه لم يدونَ جلَّ ما قال إن لم يكن كله ، وما بأيدينا منه الآن نزر يسير جداً حفظه عنه بعض تلاميذه :

ومن أهم قصائده شعره تلك القصيدة الميمية التي أنشأها في الوصايا والآداب العلمية ، وهي طويلة جداً ، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيها العلم ومثله :

العلم أغلى وأحلى ما له استمعتُ	أذن ، وأعرب عنه ناطقٌ بغير
العلم غايته القصى ورتبته الس	ملياء فادعوا إليه يا أولى المهم
العلم أشرف مطلوب وطالبه	لله أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به	أهل السعادة والجهال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد ، كما	أهل الجهالة أموات يجهلهم

ثم يقول مرغباً في العلم ، وحاضاً طالبه على الحرص عليه ، والسعي قدر المستطاع لنيل أكبر قسط منه ، وعدم الرضا بغيره عوضاً عنه ، فن حصل عليه فقد ظفر :
ويوصي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله وتقريب مباحثه ، ويشير عليهم قبل ذلك كله بأن يخلصوا نياتهم - في طلبه - لوجه الله الكريم :

يا طالب العلم لا تبغى به بدلا
وقدّس العلم واعرف قدر حرمة
واجهد بعزم قوى لا انشاء له
والنصح فابذله للطلاب محتسبا
ومرحبا قل لمن يأتيك يطلبه
والنية اجعل لوجه الله خالصة
فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
في القول والفعل ، والآداب فالترم
لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم
في السر والجهر والأستاذ فاحترم
وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهم
إن البناء بلون الأصل لم يقسم

وهناك أيضاً قصيدته الحمزية التي قالها في تشجيع الإسلام وأهله والدعوة إلى التمسك بأساسه وأصله ، وهي لا تزال مخطوطة لم تنشر من قبل ، وتقع في أكثر من مائتي بيت ، من بحر الكامل على روى الحمزة . استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم ، كل ذلك بأسلوب قوى رصين ، وتعبير جزل ، بالإضافة إلى ما تفجّر في جوانب أبياتها من شعور فياض ، ومعان سامية ، وأهداف نبيلة ، وروح عالية ، تحدث في أولها عن الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وقيامه بالدعوة إلى الله ، فقال :

وبعزّ ربّي رسله والمؤمنين
حتى استتمّ بناءهم بمحمد
فهو الرسول إلى الخلاق كلهم
ما لامرئ أبداً خروج عن شرب
لم يقبض المولى تعالى روحه
وآتمّ نعمته وأكمل دينه
ومضى وأتمه بأقوم منهج
جميعهم بالنصر والإنجاء
أكرم به للرسول ختم بناء
ممن تُقِلّ بسبطة الغبراء
منه ونهج طريقه البيضاء
حتى أشاد الدين بالإعلاء
ونخلقه أداه أيّ أداه
وعلى محجّة هديه البيضاء

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهجهم في الحكم ، وانتقل بعدهم يصف واقع المسلمين في العصور التي تلت عصر الخلفاء الراشدين ، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) وجدناه يقول :

وأنى بقرنٍ سابع من هجرة
أعنى بذلك الحبر أحمد من إلى
كم هاجم البدع الضلال وأهلها
علم به يؤتمّ في الظلمساء
عبد الحليم نمي بلا استثناء
بدلائل الوحيين خير ضياء

وقواعد التحريف هداً أصولها أعظم به هدماً لشر بناء
... وله جهاد ليس يُعهد مثله إلا بعهد السادة الخلفاء

وبعد أن ذكر ما قام به ابن تيمية من قمع للفتن وإبادة للطغيان ، تابع المسيرة
إلى العصور الإسلامية التالية ، مصوراً طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك
الآزمنة ، مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سُمحوا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ
محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري وغيره .

ثم ذهب يوجه الخطاب إلى العلماء وطلاب العلم في عصره ، مستنهضاً همهم
للدعوة إلى الله والإخلاص في العمل ، والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم
المسلمين في كل مكان ، قائلاً :

هل تسمعون معاشر العلماء ، ألا
... يا طالبی علم الشريعة فانهضوا
واذعوا عباد الله باستهداء
م ورفض كل طريقة عوجاء
عن دينهم في غفلة عمياء ؟ !
كيف انتصار المسلمين وجلتهم
وقد أطلال في ذلك ، وبهذا نكتفي .

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كماذج حية من شعر الشيخ
حافظ الحكيم - رحمه الله - والتي تدل على تدفق شاعريته ، وجودة شعره الإسلامي
وسمو غاياته .

أعماله :

عند المس الشيخ عبد الله القرعاوي تفوق تلميذه حافظ ونبوغه العلمي أقامه
مدرساً لزملائه والمستجدين من التلاميذ ، فألقى عليهم دروساً نافعة استفادوا منها فائدة
كبيرة .

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣ هـ مديراً للمدرسة (سامطة) السلفية - أوّل وأكبر
مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطلاب العلم - ، وأسند إليه أمر الإشراف على مدارس
القرى المجاورة .

واتسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تهامة وعسير) فما من مدينة أو

قرية إلا وأسس بها مدرسة أو أكثر تدرس العلوم الإسلامية (١) ، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شئون إدارتها . ولما كان الشيخ يقوم في فترات متعددة بجولات على مئات المدارس التي كان قد أسسها في المنطقة جعل تلميذه الأول الشيخ حافظاً الحكيم مساعداً له يتولى الإشراف على سير التعليم وأمور الإدارة أثناء تجوال الشيخ على مدارسه ، فنهض حافظ بالعبء الملقى على عاتقه وأدى الأمانة خير الأداء . ثم تنقل الشيخ حافظ - للقيام بواجبه مع شيخه - في عدة أماكن منها قرية (السلامة العليا) ومدينة (بيش : أم الخشب) في الجزء الشمالي من منطقة (جازان) وغيرهما ، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسها ويساعد شيخه في تحمل المسئولية والإشراف على سير التعليم ومواصلة تدعيم مهام الدعوة والإصلاح . وهكذا مضى الشيخ حافظ يؤدي واجباته في سبيل النهوض بأبناء منطقته ، وليرفع من مستواهم الثقافي والاجتماعي ، وليفيدهم من علمه قدر ما يستطيع ، فقد كان يجتمع إليه طلبة العلم من كل مكان للتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدة عظيمة ، ومن طلبته الآن علماء أفاضل يتولون مناصب القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية وغيرها .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية بـ (جازان) عاصمة المنطقة ، فعين الشيخ حافظ أول مدير لها في ذلك العام . ثم افتتح معهد علمي تابع للإدارة العامة للكلديات والمعاهد العلمية آنذاك (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤ هـ فعين الشيخ حافظ مديراً له ؛ فقام بعمله هذا خير قيام ، وكان يلقي فيه بعض المحاضرات ويعلم على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية واللغوية المفيدة ، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تقرر لها كتب علمية وفق المناهج المحددة ، كان يملئها أحياناً بنفسه ، وقد يملئها عن طريق المدرسين بالمعهد أحياناً أخرى .

صفاته :

كان الشيخ حافظ الحكيم - رحمه الله - مثالا يحتذى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع ، ومثالا لكل عالم جليل متواضع يحب لتلاميذه وزملائه كل خير وصالح .

(١) انظر شيئاً عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في : (مجلة المنهل التي تصدر في جدة : مجلد ٨ ، عدد ٥ جادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبد الله القرعاوى - : ص ١٨٥ - ١٩٦) ؛ وعداً لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقال الذي كتبه عن الشيخ عبد الله القرعاوى في : (مجلة العرب التي تصدر في الرياض : المجلد ٨ / ص ٥٢٦) .

ويكفي أن أورد هنا ما قاله عنه شقيقه الأكبر (عمي) الشيخ محمد بن أحمد الحكيم -
حفظه الله - في رسالة كتبها إلى "إجابة لطلي":

« كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى ، قوى الإيمان ، شديد التمسك ، صداً بالحق ، يأمر بالمعروف ويأمره ، وينهى عن المنكر ويتبعه عنه ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

كانت مجالسه دائماً عامرة بالدرس والمذاكرة وتحصيل العلم ، تغص بطلابه في البيت والمسجد والمدرسة ، لا يمل حديثه ، ولا يسأم جلوسه .

كان جلّ أوقاته ملازماً لتلاوة القرآن الكريم ، ومطالعة الكتب العلمية ، بالإضافة إلى التدريس والتأليف والمذاكرة .

وكان خفيف النفس يحب الرياضة والدعابة والمزاح مع زملائه وطلابه وزوّاره ، مما يجذب قلوب الناس إليه ، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه . »

وفاته :

لم يزل الشيخ حافظ مديراً لمعهد سامطة العلمي حتى حج في سنة ١٣٧٧ هـ ، وبعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبى نداء ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨م) بمكة المكرمة على إثر مرض ألمّ به ، وهو في ريعان شبابه ، إذ كان عمره آنذاك خساً وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر ، ودفن بمكة المكرمة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديداً ، والمصيبة به فادحة ، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاء حاراً يعكس مدى الفاجعة التي أصابهم بموته ، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زاهر بن عواض الأملعي ، يقول في أولها :

لقد دوّى على (الخلاف) صوت	نمي التحرير عالمها الهماما
تفجّعت الجنوب وساكنوها	على بلر بها يحسوا الظلاما
وذاعت في الدنيا صيحات خطب	فهزّت من فجائعها الأناما
فكفكفت اللموع على فقيده	على الإسلام شمّس واستقاما

وأحيا في الربوع بيوت علم
أ (حافظ) كنت للعلياك قطباً
وإسقى مقعداً ورعى يتامى
وللإسلام طوداً لا يسامى
وبحراً في العلوم بعيد غور
وما مستم فنهجكم منار
ومن رثاه أيضاً تلميذه الأستاذ إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة ، نقتطف منها قوله :

توفى (حافظ) ركن البلاد
وقد ضاقت على الأرض ذرعاً
وخلف حسرة لى فى الفؤاد
بما رجبت ولم تسع البسوادى
وساء الحال منى حين وافى
لقد كنت المقدم فى المزايا
... وكنت القائد المدعو فىنا
صلاح للمشاكل كنت قدماً
وفى كل العلوم مددت بقاء
وهنتك العلية فى ازدياد

وقد خلّف الشيخ - رحمه الله - بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن ، أوصى بأن تكون وفقاً على طلاب العلم ورواد المعرفة ، فوضعت إلى معهد سامطة العلمى لينتفع بها المدرسون والطلاب ، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد . كما خلّف من تأليفه آثاراً علمية نافعة فى كثير من الفنون الإسلامية ، لا يستغنى عنها كل طالب علم ، وسنشير إليها .

وله من الأبناء أربعة ، هم : أحمد - كاتب هذه الأسطر - ، وعبد الله ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، وفقهم الله جميعاً وسدد خطاهم ، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم .

مولفاته :

لوالدى الشيخ حافظ بن أحمد الحكيم - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة فى : التوحيد ، ومصطلح الحديث ، والفقه وأصوله ، والفرائض ، والتاريخ والسيرة النبوية ، والنصائح والوصايا والآداب العلمية . من هذه المؤلفات ما هو منظوم ، ومنها ما هو منشور ، وهى كما يلى :

(أ) في التوحيد :

١ - (سلم الوصول ، إلى علم الأصول ، في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم) أرجوزة في أصول الدين ، مطلعها :

أبداً باسم الله مستعيناً راض به مدبراً معيناً
انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢ هـ ، وهي أول ما ألف . طبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٦ ص) .

٢ - (معارج القبول ، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد) وهو شرح مطول لأرجوزة (سلم الوصول) - المتقدم ذكرها - ، انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦ هـ ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة .

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف ، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية ، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمناً طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة ، لما فيه من فوائد جمة ، وما يحويه من معلومات قيمة في موضوعه ، ولحسن عرضه وتبويبه واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد .

٣ - (أعلام السنة المنشورة ، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة) كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب ، انتهى من تسويده في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥ هـ ، وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د . ت (في ٦٧ ص) .

٤ - (الجوهرة الفريدة ، في تحقيق العقيدة) منظومة دالية ، مطلعها :

الحمد لله لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقلام والمدد

طبعت طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٩ ص) .

(ب) في المصطلح :

٥ - (دليل أرباب الفلاح ، لتحقيق فن الاصطلاح) كتاب جليل حافل في مصطلح الحديث ، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٧٤ ص) .

- ٦ - (اللؤلؤ المكنون ، في أحوال الأسانيد والمتون) منظومة ، مطلعها :
الحمد كل الحمد للرحمن . ذى الفضل والنعمة والإحسان
انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦ هـ ، وطبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د . ت
(في ١٨ ص) .
(ج) في الفقه :
- ٧ - (السبل السوية ، لفقه السنن المروية) منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه
المعروفة ، مطلعها :
أبدأ باسم خالقي محمدا محسبلا مكنتها محوقلا
طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د . ت (في ١٣٤ ص) .
(د) في أصول الفقه :
- ٨ - (وسيلة الحصول ، إلى مهمات الأصول) منظومة في أصول الفقه ،
مطلعها :
الحمد للعدل الحكيم الباري المستعان الواحد القهار
انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣ هـ ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً . طبع طبعها الأولى
بمكة المكرمة د . ت (في ٣٥ ص) .
- ٩ - متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروى في النسخ وما يدخله من الكتب
الفقهية ، مطلعها :
الحمد لله في الدارين متصل هو السلام فلا نقص ولا علل
طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د . ت (في ١٠ ص) .
(هـ) في الفرائض :
- ١٠ - (النور الفاض ، من شمس الوجي ، في علم الفرائض) رسالة منثورة
في علم الفرائض ، انتهى من كتابتها في ١٥ - ٨ - ١٣٦٥ هـ ، وطبع طبعها الأولى
بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ٤٦ ص) .
(و) في التاريخ والسيرة النبوية :
- ١١ - (نيل السؤل ، من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم)
منظومة تاريخية ، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً) ، مطلعها :

الحمد لله المهيمن الأحمد بارى البرايا الواحد الفرد الصمد
طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د . ت (في ٥٢ ص) .

ز) في النصائح والوصايا والآداب العلمية :

١٢ - نصيحة الإخوان المشهورة ؛ (القاتية) ، وعنوانها : (هذا سؤال بشأن
القات والدخان والشمة) ، وهي قصيدة تائية ، مطلعها :

هدأ لمن أسبغ النعما وأهمنسا حمداً عليها بألطف خفيات
وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن ، ثم جواب الشيخ عليه ، وفي الجواب
الأخير فوائد جليلة . طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤ هـ (في ١٥ ص) .
١٣ - (المنظومة الميمية ، في الوصايا والآداب العلمية) قصيدة ميمية رائعة
في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
مطلعها :

الحمد لله رب العالمين على آلائه وهو أهل الحمد والنعمة
طبع طبعها الأولى بمكة المكرمة د . ت (في ١٤ ص) .

وقد طبع جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكيم - رحمه الله -
طبعها الأولى - ما أُرِّخ منها وما لم يُورخ - في سنتي ١٣٧٣ - ١٣٧٤ هـ على نفقة
جلالة المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة ،
هذا كتاب (معارج القبول) الذي طبع طبعته الأولى د . ت (نحو سنة ١٣٧٧ هـ)
في المطبعة السلفية بمصر .

ولوالد الشيخ - من بعد - بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة التي لم تطبع بعد ،
ستنعمل على طبعها ونشرها في وقت قريب إن شاء الله ، حتى ينتفع بها كما انتفع بغيرها
من مؤلفاته المطبوعة ، أهمها :

- ١ - (مفتاح دار السلام ، بتحقيق شهادتي الإسلام) .
- ٢ - (شرح الورقات ، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني) .
- ٣ - (همزية الإصلاح ، في تشجيع الإسلام وأهله ، والتمسك كل التمسك
بأساسه وأصله) .
- ٤ - (مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية) .

وكل مؤلفاته - رحمه الله - تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية ، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة ، وهي كتب قيمة يكفى للدلالة على جودها وقيمتها أن بعضها عرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية آنذاك ، - رحمه الله - فاستحسنها واستجادها وأشار على الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء ، لما فيها من فوائد جمّة ، ونصائح عامة نافعة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم ، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ، وعلى اتباع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين .

رحم الله الشيخ حافظاً الحكيم رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه عما قدم خير الجزاء ، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين .

أحمد بن حافظ الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

بدا باسم الله مستعينا
والحمد لله كما هدا
حمده سبحانه وأشكره
واستعينه على نيل الرضا
وبعد اخي باليقين اشهد
بالحق ما لوها سوى الحق
وان خير خلقه محمد
رسوله الى جميع الخلق
سألى عليه ربنا و محمد
وبعد هذا النظم في الاصول
سألى ما به من لا بد
فقلت مع عجزى ومع عشتاقى

مقدم

اعلم بان الله جل وعلا
بإخلاق الخلق لعباده
أخرج فيما قد مضى من ظهر
وأخذ العهد على ممرانه
فصل في كونا التوحيد ينقسم الى نوعين
أول واجب على العبيد
أ وهو من كل سوا الله عز وجل
أثبت ذات الرب جل وعلا
وأنه الرب الجليل أشرك
بارى البر يا من شئ الخلائق
أول المنبدي بلا ابتداء
الأحد الفرد القدير الأزلي
مؤقهر وعلاء الشان
كذله العلو والفوقية
ومع ذا مطلع اليهم
وذلكه القرب والمعية
فانه العلي في رتبة
حي وقيوم فلا ينأ
لا تبلغ إلا وهام كنه ذاته
ياق فلا يغنى ولا يبيد

راض به مدبر امعينا
الى سبيل الحق وا جتانا
ومن مساوى عملى ستغفره
وأستدل لطفه فيما قضى
شهادة الاخلاص ان لا يعبد
من جل عن عيب وعن نقص
من جاءنا بالبينات والهدى
بالنور والهدى ودين الحق
والآل والصحب دوما سرمد
لمن أراد منهج الرسول
من امثال امره الممثل
معتمد على القدير الباقي

مقدم

لم يترك الخلق سدا وهمل
وبالاطية يفرد
أدم ذريته كالذر
لأرب معبود بحق غير
فصل في كونا التوحيد ينقسم الى نوعين
أول واجب على العبيد
أ وهو من كل سوا الله عز وجل
أثبت ذات الرب جل وعلا
وأنه الرب الجليل أشرك
بارى البر يا من شئ الخلائق
أول المنبدي بلا ابتداء
الأحد الفرد القدير الأزلي
مؤقهر وعلاء الشان
كذله العلو والفوقية
ومع ذا مطلع اليهم
وذلكه القرب والمعية
فانه العلي في رتبة
حي وقيوم فلا ينأ
لا تبلغ إلا وهام كنه ذاته
ياق فلا يغنى ولا يبيد

بايع عنه سيد الكوان
 الدابع ابن عم خير الرسل
 سيد كل خارجة مارق
 من صار للمختار في مكان
 فالسنة المكلون العشرة
 وأهل بيت المصطفى الأطهار
 فكلم في محكم القرآن
 في الفتح والحديد والقتال
 كذا في التوراة والإنجيل
 وذكروهم في سنة المختار
 ثم السكون واجتمعوا جري
 فكلمهم مجتهد من مثاب

❦ خاتمة ❦

❦ في التوسل بالكتاب والسنن والجمعة ❦
 شرط قبول السعي أن يجتمع
 لله رب العرش لا سوا
 وكل ما خالف للوحين
 وكل ما فيه اختلاف نصيب
 فالدين إنما أتى بالنقل
 ثم إلى هنا قد انتهيت
 سميت سلم الوصول
 وحمد لله على انتهائي
 أسأله مغفرة الذنوب
 ثم الصلوة والسلام أبدا
 ثم جميع صحبه والآل
 ثم وم سمرق بلانق
 ثم الدعاء وصية القراء
 أبيات يسر بعد الحمل

٢٧٠

بكية في معية الرضوان
 أغنى الحق ذو القدر العلي
 وكل خبير رافض فاسق
 هارون من موسى بلانكران
 وسائر الصاحب الدائم البر
 وتابعوه السادة الأخيار
 أثق عليهم خالق الكوان
 وغيرها بأكمل الخصال
 صفاتهم معلومة التفصيل
 قد سار سير الشمس في الأفق
 بينهم من فعل ما قد قدر
 وخطأهم يغفره الوهاب

فيه إصابه وإخلاص معا
 موافق الشريعة الذي انقضاء
 فانه رد بغير مسير
 فردة إليهم أقروجا
 ليس بلأوهام وحديث العقل
 وتم ما جمعه عنيت
 إلى سما مباحث الأصول
 كما حمدت الله في ابتداء
 جميعه والسر للعيوب
 تغشى الرسول المصطفى حمدا
 السادة الأئمة الأبد ال
 ماجرت الأفلام بالمداد
 جميعهم من غير ما استشاء
 تأريخها الغفران فانهم راجي

١٣٦٢

الحمد لله الذي لم يخلقنا من غير محبة ولا ولدنا من غير رحمته ولا خلقنا من غير
 يقين لم يخلقنا من غير يقين ولا يخلقنا من غير يقين ولا يخلقنا من غير يقين ولا يخلقنا من غير يقين
 نفس أن لا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد ولا يبعد
 عالم العيب والشبهة الذي يستوي في علمها أمر العبد من العمل وما أظهر الذي علم ما كان وما يكون وما لا يكون
 وما يعزب عن ربه من متقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا صغير من ذلله ولا أكبر من علم ما يخرج من
 الأرض وما يخرج منه وما ينزل من السماء وما يخرج منه وكيف لا وهو الذي خلق وقدرة، لا يعلم
 من خلق وهو اللطيف الخبير الرحمن الدنيا والآخرة ورحمهم الذي كتب على نفسه الرحمة وهو
 هو الرحمن الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنه على عرشه في الكتاب المبين، الذي
 وسعت رحمته كل شيء وما ينزل من السماء من ماء فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا من السماء ماء فأنزلنا من السماء ماء
 كبري الأرض بعد موتها ولا للحق الموت وهو على كل شيء قدير الملك الحق الذي بيده ملكوت كل
 شيء فلا شيء له في ملكه ولا معين، المتفكر في خلقه بما يشاء من الأمر السهي والاعتراف والاذلال و
 لأحقها والماتة إلا لله والخلق والأمر تبارك الذي لا يدرك بالعلمين، لا لا نقصاء ولا مضادة لأمره، ولا
 معية بحكمه إلا الله الحكيم وهو أسرع الحاسبين، له ملائكة السموات والأرض وما بينهما وأولئك المصورين
 القادرين السلام الذي تصد بصفتها الكمال، وتقدس عن كل نقص وحال، وتعالى عن الاتساع والانشاء
 حوام على العرش أن تصغر وعلى الأوهام أن تكيفه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
 للؤمن الذي آمن أولياءه من حربي الدنيا وقام في الآخرة عذاب لها ودية، وأقام في عهده الرية
 حسنة وسجلهم دار المقامة في جنه عالنية، المهيمن الذي شهد على خلقه ما علمهم وهو القادر على كل
 نفس بما كسبت لا تحيط عليهم خافية، أنه بعاده كخير بصير العزيز الذي لا يغالب ولا يهزم
 لجناحه، الجبار الذي لم يخلق الجبروت والعظمة وهو الذي يحبر كل كبير مائة، المتكبر الذي لا ينبغي
 الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجبابه، العظمة لا لا له والكبرياء رداؤه فمن نازعه صفة منها أحل به
 العصف والمقت والتدبير الخالق البارئ المصور لما شاء أم لا شاء في أي صورة شاء من أنواع
 لتصوير، هو الذي خلقكم فكم كنتم وما كنتم من الله بما تعلمون بصير، خلق السموات والأرض
 بالحق وصورككم فأحسن صوركم وألهم للصير، ما خلقكم ولا يعظم إلا لنفسه واحدة لا الله السميع بصير
 الصفا الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطأ لم يقبله لا يشر به شيئا إلا أنه بقرابها معفوة عنه
 الذي قصير سلطان فهمه كل مخلوق وقهره، التوهاب الذي يكره هوب ويصل إليه جلد من يفسد جوار
 حواه وفيه انفعاده والآخرة، الدلائل التي لا تنفذ عن أنموه يقين ما في يمينه لما أنفق
 من خلق السموات والأرض ما لا ينقص من فضل العزير، بر لا في كل ذي صوت وقوس به يدين
 القوت في الأعضاء بحكمته تبارك ما امتعنا بحكما، يبرق من بهر الدنيا من يشاء من جلاله ومجده
 مولاد أو لا أو أعمار خربا، ولا ريب في أحدهم إلا ما، يوحى له في ذلك قضاء حقه من ما وأمره
 الأرض التي خلق الله الملائكة من نور على رعد من أسفل النجاة من البعاد ونعم ورضى والحكمة

وهو المبدأ هنا وأما إذا غلبت في محسب الضاد في المبدأ فاصول الحديث علم الاصطلاح الذي يبحث عن معنى ما لم
 يستند له من أحكامها ٥ واصول الفقه علم يبحث في معنى ما لم يرد له في الاستدلال وغيره ٥ واصول العربية
 هي نحو والصرف المعاني والبريد كل محسب وتعرينه في قوله وقوله اسمها بحث الاصول وصقله بالعلم وهو علم
 الإشارة فلان أعلى العلوم وأهمها وأجوبها وألزمها للعلماء بعونه خلق الله الخلق وأبدى لهم حجة وحكمة وهدى
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله شرع لهما ٥ وعليه ينشأ كل من الحق والعدل وغير ذلك تحقيق بعلم هذا
 قدره أن يكون هو وأما بهتم به العبد وأعظم ما ينشأ فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يبلغ إلى الموت على ذلك
 وناسب تسمية الشرع بمعارض القبول لأن العروج هو الصعود ومعارض الصاعد كان القار في هذا الشرع
 يصعد في هذا التسمي وأضيفت المعارض والقبول لمناسقة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد ٥ وينقطع
 ٥ ولهذا عوج من العلم التي منها أن قدرنا انتهائي ٥ أي إتمام هذا المنشئ على معرفة الحق وقبوله
 وسواء علمه عليه ٥ كما حوت المبحث في ابتدائ في نظم ٥ تقدم وذلك اقتضاه كلام الله حيث افتتح
 ذكر الخلق بالمرقا الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ٥ وختمه ذكره فيما يليه من البيت الثاني ٥ الحمد لله
 وقبلى بينهم باحق وقيل الحمد لله رب العالمين ٥ وقال تعالى ٥ وأخبرهم أنهم أن الحمد لله رب العالمين ٥ آتسأله أو لا
 مغفرة ٥ أي مغفرته تعالى الذنوب ٥ دون وجه المسلمين والمغفرة سائر الذنوب والذنوب والآخرة والعفو عنه
 وعدم المؤاخاة به ٥ جميعها ٥ من ضاعثوا وكذا استغفار من أنواع الذنوب والستر من دعا للعيون
 من جميع المسلمين ٥ ثم اعطف على الحمد الاستغفار والصلاة والسلام ٥ تقدم فعلها ما تغشى الرسول الشفيع
 محمداً تقدره من ربه عز وجل ٥ ثم تغشى ٥ جميع محبة الأهل ٥ تقدم تعريفهم ٥ الألسنة ٥ جميع سيدهم هو القيم
 المقدم ٥ الأئمة ٥ المستوفين بهم في الدين والأعمال ٥ أي أوليها والأهل ٥ تدوم ٥ متواصلة متواترة ٥ ثم تدوم ٥ تأليه
 للدوام بعينه ٥ بلانفاخ فناء وانقطاع ٥ ما جرت الأقدام بالمداد ٥ أي عدم ما حزن به وشعر بالمداد ٥ جامع هذا
 العقد متنا وطرحاً ٥ وصية ٥ منه يلمس من القرآن ٥ أن يدعو إليه بخير الدنيا والآخرة ٥ جميعهم ٥ شاهده ٥
 غائبهم معاصريه ومن باقى بعد عصره ومن غيرهم ٥ صلة ٥ أي غير ٥ استغنى ٥ إخراج أحدهم من ربه ٥ التوسل
 ٥ أي استئذان من خروف ٥ ويسر ٥ وذلك ما شاء وسعه من ٥ وما ردت ثم أقول ٥ أي ما هو المقصود
 أي الذي فيه الأحكام والمسائل ليس فاعقل ٥ غنى ٥ تأنيبه ٥ الذي ألفته فيه ٥ ومن حروف الغفران ٥
 ذلك ألف في ثلثمائة واثنين وستين ٥ نسأل الغفران ٥ وقافهم ٥ ما فهم المعنى ٥ وادع لي ٥ بصالح
 الدعوات ٥ في وقت الحاجة ٥ كما وصيتك ٥ فان ذلك من أعظم الصدقات ٥ لأن الله يحب المصدقين
 اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض رحمتك تستغنى ٥ اللهم رحمتك رحمتك
 تتكلم لا ط لنفسنا ولا لأحد من خلقك طرقه عين ٥ وأصلح لنا شأننا كما لا اله إلا أنت سبحانه ٥ في كنت من الظالمين
 اللهم مغفرتك آسوس مد نوسا ورحتك ٥ أرحمنا من الله ٥ فاعف لنا وارحمنا ٥ أنت الغفور الرحيم ٥ اللهم
 ما كان في هذا السفر من حق وصواب فستعبدك والرهامة وفضلك وإنعامك ٥ أنت أعلم ومولى ٥ فلك الحمد والثناء
 فأنعمنا اللهم بتغفرك ٥ الرزقنا العمل بما علمنا ٥ جميع المسلمين ٥ وما كان فيه من خيرا ٥ أول ٥ فزغيبه وشيط ٥ في فاله
 رشكة ٥ أعذ من ترس نفسه ٥ وقصر من يعبدك ٥ وسخره ٥ وأعذ أن ٥ فله ٥ ما هو من طاعة المستقيم ٥ أو فضل
 بخلق أحسن عبدك ٥ وأغفر ذنوبه ٥ لجميع المسلمين ٥ سبحانه ٥ ربك ٥ رب العرش عما يصفون ٥ رسول الله ٥
 والحمد للدرر العالمين ٥ ومن من الله على سيدنا وديننا محمد عبده ٥ ورسوله ٥ سيدنا ٥ وابن ٥ الأخين ٥ وخام
 الدنيا والرمضان ٥ وقابل الغفران ٥ وديننا ٥ وأصحابه ٥ وأهل بيته ٥ جمعهم ٥ وشجعهم ٥ واستدعوا ٥
 وعنا معهم بعفوك ورحمتك ٥ والذين ٥ وأخولنا ٥ جميع المسلمين ٥ آمين
 وكان الله من شهودنا ٥ واللاتين بعد صلاة العصر ٥ تاريخ

الخط المائل في المتن

